Issue 6333 Thursday 25/4/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6333 الخميس 20 من شعبان 1440 هـ 25 من نيسان (ابريل) 2019م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

الديراسينية .. سودانياً وعراقياً

فؤاد مطر
بيروت

إعتدنا كصحافيين عايشوا ميدانياً أو متابعة من خلال عملنا في الصحف معظم الإنقلابات العسكرية في الدول العربية، نركّز بداية على صانعي الإنقلاب وفي الوقت نفسه نُدرج في الإهتمامات ما يحدُث في دول العالم الثالث، كوننا أعضاء في هذا الجسم العليل من إنقلابات بعضها متقن وعلى مستوى وبعضها الآخر فولكلوري. وكنا نتوقف بصورة خاصة على البلاغ رقم واحد الذي يصدر عن صانع الإنقلاب أو بإسم المجموعة صانعي الإنقلاب.

وعندما حدثت الخطوة الأولى على طريق الإنتفاضة الشعبية المبهرة في السودان يوم 11 أبريل/ نيسان 2019 متمثلة بإطلالة تلفزيونية غير متوقعة لوزير الدفاع أحمد بن عوف وإلقاء بيان يعلن كف يد الرئيس عمر البشير وتعليق الدستور وكذلك حل الحكومات وفرْض حظْر التجول، كان من الطبيعي التوقف عند البيان غير المسبوقة مفرداته ووضْع خطوط تحت بعض الكلمات التي تفسر ما إستعصى تفسيره لهذه النقلة المفاجئة من جانب قائد عسكري بشيري الهوى إزاء رئيسه الذي لم تمض سوى 48يوماً على تعيينه نائباً أول لرئيس الجمهورية مع إحتفاظه بمنصب وزير الدفاع.

كان البيان المفترَض أنه البلاغ رقم واحد، على نحو المألوف حدوثه منذ الإنقلاب العسكري الأول في العالم العربي، خالياً من الموقف السياسي بمعنى فقرات الإشارة إلى التضامن العربي والقضية الفلسطينية، والإكتفاء بالإلتزام بالعلاقات الطيِّبة مع دول الجوار ودول العالم عموماً، وكذلك الحرص على علاقات دولية متوازنة والإلتزام بالمعاهدات والإتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية إلى جانب المحلية.

وجاء البيان يحمل بشرى إنهاء نظام إنما من دون تسمية البشير والإكتفاء بعبارة "رأس النظام". كما برَّأ البيان "اللجنة الأمنية العليا" من مسؤولية ما حدث وهذا واضح في تمهيد البيان للقرارات التي تم إتخاذها حيث فيه تلميح إلى إحتمال حدوث إنقسام في الجيش.. وإن كان البيان إستعمل عبارة "بوادر إحداث شروخ في مؤسسةٍ عريقة". ومثلما أن البيان لم يسمِّ البشير بالإسم فإنه كان على درجة من الدبلوماسية في التعبير فلم يستعمل كلمة "إسقاط" النظام وإنما الإكتفاء بكلمة "إقتلاع" وهي جديدة على القاموس الإنقلابي العربي. وأما مسألة "التحفظ على رأسه بعد إعتقاله في مكان آمن" (وهنا مرة أُخرى يعتمد نحوياً المعلوم المجهول) فإنها ليست مستحدَثة ذلك أنه في الإنقلاب العسكري الأول في العالم العربي جرى في الجمهورية السورية والذي قام به القائد العام للجيش الزعيم (رتبة عسكرية) حسني الزعيم رائد الإنقلابات العسكرية ضد أهل السياسة والأحزاب، أُودع رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس الحكومة ووزير الخارجية والدفاع خالد العظم ووزير الداخلية والمعارف محسن البرازي في المستشفى العسكري في المزة لكل منهم غرفة خاصة به.

كتب أدبية

وعندما طلب كل من القوتلي والعظم إحضار بعض الكتب الأدبية والأدوية فإنه تم تزويدهما بها. مناسبة هذا الإستحضار للإنقلاب العسكري الأول، أن ثمة الكثير من أوْجه الشبه في المضامين بينه وبين أحدث ما حصل في السودان بعد سبعين سنة وكلاهما في أيام ربيعية (إنقلاب الزعيم على الحكم المدني آخر شهر مارس 1949 والإنقلاب الخجول على البشير يوم 11 أبريل 2019).

تطول المقارنة من حيث الأسباب وظروف الخطوة التي أوجبت الإنقلاب الودي قبْل أن يتطور إلى إنقلاب يتسم بالجدية في السودان، لكن ما يعنيني كمتابع عريق للشأن السوداني وإنقلاباته وتقلبات عهوده هو هذا التأدب في التعامل بالحسنى من جانب رموز الإنقلاب مع مَن كان حاكماً بأمر شريحة عريضة من السودانيين أدخلت حركة (الإخوان المسلمين) إقنيم ثالث في المجتمع السوداني المشهود تديُّنه حتى من جانب شيوعيي الوطن في زمن إزدهار الحركة الماركسية المركز(الإتحاد السوفياتي) والأفرع في كثير من دول أوروبا ودول العالم الثالث. فالسودان على مر عهوده حتى الثمانينات كان ذائع الصيت بأنه طائر أسمر اللون بجناحيْه الأنصاري والختمي وإلى درجة أن "الأنصار" كما "الختمية" باتتا حركتيْ الإسلام السياسي في السودان لا ينازعهما هذا "الإقطاع الدياسي" بمعنى الديني – السياسي طيف آخر، ثم دخل على الخط بقوة وحيوية فكرية متمكنة دينياً وسياسياً الدكتور حسن الترابي ممسكاً بورقة على درجة من الأهمية تتمثل في أنه زوج إبنة الإمام عبد الرحمن المهدي بما يعني أن كبير الأنصاريين ومُنظِّرهم والمعقودة عليه آمال إنعاش الزعامة الروحية والسياسية والنضالية للجد عبد الرحمن ضد الإنكليز الصادق المهدي بات أمام من يحاول إقتسام الشأن الأنصاري وإن كان ذلك بنسبة بسيطة في إستطاعة الترابي تنميتها وإبتكار صيغ وأساليب من أجْل ذلك معتمداً على حذاقة تكتيكاته وعُمْق ثقافته.

ولقد حقق الترابي ما يصبو إليه ذلك أنه إستطاع من خلال حركة "الإخوان المسلمين" خلْق قاعدة له وتحقيق إختراقيْن داخل المؤسسة العسكرية في عهد الرئيس الأسبق جعفرنميري أثمرت ضباطاً إسلامويين حققوا بقيادة عمر حسن البشير إنقلاباً على حُكْم أهل السياسة مستغلين في ذلك المشهد الماثل في مخيلتهم عما جرى لزملاء لهم من غزوة جاءت من ليبيا وقتلت أعداداً كانوا نياماً في معسكرهم.

حلاوة السلطة

وعندما إستعذب البشير حلاوة السلطة المطلقة أرسل الشيخ الترابي إلى إحتجاز في إحدى دور الضيافة ثم لاحقاً إلى الباستيل السوداني سجْن "كوبر". هنا أيضاً تطول القضية والظروف حولها وما أنتجتْه من مشاعر ومحاذير، وأعود إلى عبارة "إقتلاع ذلك النظام والتحفظ على رأسه بعد إعتقاله في مكان آمن" أوردها وزير الدفاع بإسم اللجنة الأمنية العليا عوض بن عوف. كان لا بد من فتْح صفحات قاموسية لتفسير كلمة "إقتلاع". فما هو سائد إن كلمة قلع تقال عند خلْع أضراس أو باب ضاع مفتاح قفْله، وأحياناً يكون إستعمالهاَ شعبياً مثل القول إن فلاناً خلع فلاناً بلكمة على وجهه. ثم يفيدنا القاموس أن للكلمة أكثر من تفسير إحداها بمعنى إزالة القائد عن رتبته. وهذا ما قصده البيان الذي قضى بنقل مكانة البشير من كرسي الرئاسة إلى الجلوس على كرسي عادية في "منزل آمن". أما بعض سائر معاني كلمة الخلع فهي "خلع الرجل زوجته وخلعت الزوجة زوجها".

كما أن لفظة "الخلاع" المشتقة من خلع تعني (قاموسياً) شبه خبل يصيب الإنسان، وتعني كلمة الخليع (جمع خُلعاء) المعزول من مقامه. أما الخولع فإنها (قاموسياً) تعني الأحمق. وأما المخلَّع من الرجال فإنه (قاموسياً) الضعيف الرخو. كما أن معنى الخليع جمْع خُلعاء تعني (قاموسياً) الخبيث. وللكلمة معنى إيجابي إنما (قاموسياً) تتعلق بالشجر وليس بالبشر وهي أخلع الشجر بمعنى أنبت ورقاً جديداً. وهذا يُجيز القول حول ما كان يدور في خاطر بن عوف كبادرة حُسْن تعبير وتوصيف تجاه رفيقه البشير. والأرجح أن بلغاء ضابطين سيبويهيين في الحراك الشعبي رأوا الخلع من جانب بن عوف بهذا المعنى فثابروا وصبروا إلى أن كانت "النقلة البرهانية" التي لم تكتمل فصولاً. ويبقى القول إن الكلمتيْن التوأميْن(الإجتثاث عراقياً والخلع سودانياً) مرشحتان في حال كثرة الحالات الموجبة وإصدار البيانات في شأنهما إلى إستمرار تداولهما. ففي العراق لم يُحسم أمر الخشية من عودة "البعث" إلى الساحة السياسية في رداء أو آخر. وفي السودان لم تُحسم الأمور وبالذات ما يتعلق بالشراكة المدنية– العسكرية فضلاً عن الخشية من سيناريوهات إخوانية تستوجب التنبه لها. وهكذا فحتى إشعار آخر قد ينتهي الأمر تداولاً لكلمتيْ (الإجتثاث) والخلع إلى إندماجهما في كلمة واحدة "الديراسينية كما الديمقراطية" والبيروقراطية والديكتاتورية".. وهي كلمات أجنبية أستُعربت أو أستُشرقت. والباب مفتوح أمام "الديراسينية" كون التحديد القاموسي الأجنبي الذي في مقالتي هذه أستند إليه لكلمة "إجتثاث" العراقية النشأة والإبتكار وكلمة "خلْع" السودانية الوليدة النشأة هو Dera-cinement والفعل Deracin-er(بالفرنسية) وكذلك بالإنكليزية Deracinateمع إختلاف اللفظ.

ولهذا الغوص في المشهد السوداني بقية إبحار.

الإستثمار في التربية على السلام واللاعنف

عبد الحسين شعبان
بيروت

في ظلّ حيرة وذهول عالميين بعد تفجير مسجدين في جنوب نيوزيلاندا وبعد العمليات الإرهابية التي استهدفت كنائس في سريلانكا مؤخراً، تطرح مجدداً مسألتين في غاية الأهمية والإلحاح على بداهتهما، الأولى – أن الإرهاب لا وطن له ولا دين ولا قومية ولا لغة ولا منطقة جغرافية ولا يمكن مجابهته بالوسائل العسكرية والأمنية لوحدها. والثانية– الحاجة إلى التربية على السلام واللّاعنف، وبقدر ما يشمل الأمر المجتمعات فإنه يشمل الأفراد أيضاً، فالتطرّف وهو وليد التعصّب إذا ما انتقل من التفكير إلى التدبير وأصبح سلوكاً سيتحوّل إلى عنف، والعنف حين يضرب عشوائياً ويستهدف خلق الرعب والفزع في المجتمع يستهدف إضعاف ثقة الناس بالدولة والقانون، وعندها يصير إرهاباً ممتداً على مساحة جغرافية واسعة من العالم. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتعزيز التزام الدول والمجتمعات بنشر ثقافة السلام ورفع الوعي بأهمية اللاعنف، إلا أن ما قامت به الدول والمجتمعات والمنظمات المعنية على اختلافها ليس بالمستوى المطلوب، حيث تفشّت ظواهر العنف والإرهاب في جميع المجتمعات، وكانت الهجمات الإرهابية التي وقعت في الولايات المتحدة في 11 سبتمبر (أيلول) 2001 محطة أساسية وغير مسبوقة للوقوف عند الخلل الذي تلمّسه المجتمع الدولي إزاء نقص الوعي بأهمية وضرورة التربية على قيم السلام واللّاعنف، وكان ما أعقب ذلك من أعمال إرهابية اتخذ أشكالاً مختلفة ووسائل متنوّعة ، شملت العالم أجمع بما يلقي مسؤولية كبرى على الدول والمنظمات الدولية، ولاسيّما الأمم المتحدة لتعميم ثقافة السلام واللاعنف، وتعزيز مستلزمات تعميق الوعي بأهميتها من خلال وسائل تربوية وتعليمية حديثة ومتطورة تسهم في تعزيز القيم الإنسانية .

تعزيز جهود

ويتطلب ذلك وجود استراتيجية ذات بعد إنساني في تعزيز الجهود الرامية للتربية على السلام واللّاعنف، ولاسيّما حين تكون الأدوات المعرفية مقترنة بالأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، الأمر الذي تحتاج إلى ربط التعليم بعملية التنمية المستدامة، والتربية بقيم التسامح والسلام واحترام حقوق الإنسان، وذلك بتنقية المناهج الدراسية ورفع كل ما يتعارض مع هذه القيم وإيلاء الاحتياجات الضرورية للمجتمعات من أجل مواجهة التحدّيات، خصوصاً بتدريب المعلّمين وتأهيلهم في إطار مناهج جديدة تستجيب لروح العصر وتنبذ كل ما له علاقة بالكراهية والعنصرية والعداء للآخر الذي هو بشر لا أكثر ولا أقل مثل غيره له الحقوق وعليه الواجبات ذاتها. ولا بدّ لعملية التربية على السلام واللّاعنف من تعزيز المعارف والمهارات وتعميق القيم والمثل الإنسانية لإحداث تغييرات في سلوك الأطفال والشباب وأسرهم وعموم الناس لمنع حدوث الصدام والعنف والسعي لحل الخلافات بالوسائل السلمية، سواء على صعيد الأفراد أم الجماعات أم الحكومات والدول. وقد انشغلت اليونسكو بالعديد من الأنشطة الرامية إلى تعزيز ثقافة السلام واللّاعنف، وذلك بمعالجة قضايا العنف المدرسي وإدماج حقوق الإنسان والتربية على السلام في البرامج الوطنية وسعت لبناء القدرات والتعليم في حالات الطوارئ، إضافة إلى إعادة البناء في المناطق التي تعرّضت للحروب والنزاعات. ولعلّ من مستلزمات التربية على السلام وتعزيز ثقافة اللّاعنف الاهتمام بالمتلقين والمتعلمين وبالمحتوى والوسائل والبيئة التعليمية، إضافة إلى اختبار النتائج والعمل في ضوئها، وبخصوص بيئة التعليم فإن الرياضة والفنون والآداب وتنمية المواهب تلعب دورها في ترسيخ ثقافة المشترك الإنساني والتواصل مع الآخر. وكانت قد تأسست جامعة دولية للسلام وأعدت برامج تتعلّق بالقانون الدولي وتسوية النزاعات ودراسات السلام الدولي وثقافة السلام والأمن الإنساني والثقافي والفكري والبيئي والغذائي والصحي وغير ذلك، وتزداد الحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى للاستثمار في التربية على السلام واللّاعنف، وذلك بتعزيز الطرق التقليدية في تسوية النزاعات وفتح قنوات جديدة للتفاهم من خلال الفنون والآداب بمختلف أشكالها، وتعزيز الحوار سواء على الصعيد المحلي أم على الصعيد الدولي بما فيه ما أقرّته الأمم المتحدة تحت عنوان: الحوار والمصالحة، خصوصاً بالإقرار بالتنوّع والتعددية والحق في الاختلاف. وعلى الرغم من معاناة العالم العربي من التعصّب والتطرّف والعنف والإرهاب، فثمة وجه ثقافي للمقاومة باللّاعنف وهو تعزيز ثقافة السلام والتسامح، حيث تم إنشاء جامعة للّاعنف وحقوق الإنسان، العام 2009في لبنان، في إطار العقد الدولي لثقافة السلام واللّاعنف (2001–2010)، وهو الذي ورد في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 243/53 في 10نوفمبر (تشرين الثاني) لعام 1998 بمبادرة من اليونسكو التي ستحتفل بالذكرى الـ 20 لهذه المناسبة المهمة، وكان من برامجها واختصاصاتها التربية على اللّاعنف وفلسفة اللّاعنف وثقافة اللّاعنف ومسرح اللاعنف، واللّاعنف وحقوق الإنسان واللّاعنف والقانون الدولي الإنساني والأديان واللاعنف والإعلام واللاعنف وحلّ الخلافات باللاعنف.

نزاعات طائفية

ولأن منطقتنا الأكثر ضرراً من العنف والأكثر تأثراً به، خصوصاً وهي تعاني من احتلال وحروب ونزاعات طائفية وإثنية واحترابات محلية، كما يحصل في اليمن وسوريا وليبيا والعراق، ناهيك عن فلسطين المحتلة إضافة إلى تداخلات إقليمية ودولية، فإنها ينبغي أن تكون الأكثر انشغالاً بفكرة اللاعنف حيث تحتاج منطقتنا إلى الوقاية مثلما تحتاج إلى الحماية وأخيراً إلى معالجة تركة الحروب والنزاعات، بحيث تولى التربية والتعليم الأهمية التي تستحقها .

□ باحث و مفكرعربي

العراق بين إحتلال الأمس والوجود الأمريكي اليوم

خالد محسن الروضان
بغداد

لقد اختلفت اراء السياسيين والمحللين حول موضوع تواجد الامريكية على الاراضي العراقية، والبعض اسماها (تواجد القوات الاجنبية).

بين اللهيب الذي يحرق مشاعر العراقيين وموقف اصحاب القرار (اولي الامر) وتصريحاتهم الغامضة والمتضاربة حول احتلال الامس (الاحتلال الامريكي عام 2003) وتجاوزات اليوم تواجد القوات الامريكية على الاراضي العراقية واعتبار هذا الامر العداوني تهديد للجارة ايران..

الجارة التي حولت اكثر من (40) رافد من المياه الى داخل اراضيها مما سبب للعراق ازمة حادة للحصول على المياه، ولحق الضرر بالاراضي الزراعية، وتسبب في موت الانسان والحيوان في اهوار الجنوب، اضافة الى رمي المخلفات الكيمياوية في شط العرب التي سببت الكثير من الامراض الخطيرة لابناء البصرة العزيزة. ايران تجاور العراق على طول اكثر من الف كيلومتر تستغلها لتسرح وتمرح وتفعل ماتشاء من خروقات لتحرق الحرث والنسل على السوا، وعبر هذه الحدود يهرب الينا السموم والمخدرات والحشيش.

اذا كنا كما يرى البعض محتلين من ايران مثلما نحن محتلون من امريكا، لكن الفرق ان احتلال ايران احتلال من الباطن وغير ظاهر لانه اخترق اكثر مفاصل الدولة العراقية وحياة الشعب العراقي.. لذلك علينا ان نعرف ماهي الجوانب القانونية والعقائدية والسياسية والدبلوماسية لحقيقة هذا الامر القديم الجديد واين هي مصالح بلدنا لاتخاذ القرار الناضج والحكيم بعيداً عن العواطف ورد الجميل للجارة ايران من قبل بعض السياسيين لقاء ايوائهم قبل عام 2003 ودعمها لهم بعد الاحتلال للبقاء على كرسي الحكم والاحتفاظ بالسلطة. وكذلك علينا دراسة تجارب الشعوب في مثل هذه الحالات، فهناك العديد من دول العالم لديها قواعد عسكريه امريكية وبعضها قد مضى على التواجد الامريكي على اراضيها سنين عديده اي منذ انتهاء الحرب العالميه الثانية، ومن هذه الدول (المانيا، اليابان، كوريا الجنوبيه، تركيا، السعودية، قطر، البحرين، الكويت، كوبا.. الخ) ولم نسمع او نقرأ يوماً بأن هذه الدول تعاني من مسألة السيادة..

ثقل اقتصادي

فالمانيا تعد من الدول العضمى 1+5 واليابان ثقلها الاقتصادي والصناعي والتجاري كبير، وتركيا التي كان قرارها واضح منع استخدام الاراضي التركيه في عملية غزو العراق، اما الكويت فقد استخدمت اراضيها من قبل قوات التحالف الدولي التي غزت العراق عام2003 وايران قدمت تسهيلات ودعم لوجستي في الحرب على العراق.

وانا اذ استعرض هذه الامثله لغرض الاستيضاح واستنتاج الحقائق في ضوء النضرة الواقعية التي يتحدد عليها مصلحة العراق اولاً من مسألة تواجد القوات الامريكية او رحيلها.

ومن خلال مراجعتي لتجربة تواجد القوات الامريكية على اراضي كوريا الجنوبية، وجدت شيء من التشابه والمقاربة فيها من وضع العراق الحالي مع اختلاف الزمان والجغرافية والقيادات والجوانب العقائدية والسياسية.

فبعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية على اثر القنابل النووية التي انزلتها القوات الامريكيه على مدنها وتم تحرير شبه الجزيرة الكورية وفي عام 1950 اندفعت القوات الامريكية في شبه الجزيرة الكورية وصولاً الى مقربة من الحدود الصينية لغرض ايقاف توسع النفوذ الشيوعي الذي كانت تخشاه وتخاف أن ينتشر في شبه الجزيرة الكورية، لكنها لاقت مقاومة شديدة من قبل قوات المقاومة الكورية الشمالية والاف من المقاتلين الصينيين واستمرت المعارك بين الطرفين في زمن الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وبعد ذلك تم تقسيم شبه الجزيرة الكورية الى دولتين، دولة كوريا الشمالية خاضعه للنفوذ الشيوعي وكوريا الجنوبية للامريكان، واعتبر خط العرض 38 خط الحدود الفاصل بين الدولتين، وقد شهدت كوريا الشمالية تطور كبير في اقتصادها وفي مختلف ميادين الحياه الاخرى بقيادة الزعيم كيم أل سونغ وبدعم من الصين والاتحاد السوفياتي، واصبحت تهدد دولة كوريا الجنوبية من خلال شعارات الوحدة القومية التي تدعوا لها، اما دولة كوريا الجنوبية فتراجع فيها النمو الاقتصادي وانتشر الفساد في مختلف مرافق الحياة بعد ان اتبعت المنهج الديمقراطي التي شجعتها امريكا عليه (وضعها كان اشبه بوضع العراق حالياً) وخشية سقوط دولة كوريا الجنوبية نتيجة تهديدات كوريا الشمالية وطموحها الى الوحدة القومية تدخلت امريكا مرة ثانية في اعادة بناء كوريا الجنوبية بشكل يفوق العديد من دول المنطقة واصبحت في مناص الدول المتقدمة والمتحضرة في عالمنا اليوم.

تغلغل إيراني

فالعراق اليوم مهدد بضياع كل شيء، سيطرة وتغلغل ايران على اغلب مفاصل الدولة وحياة، ومخاطر القوة الاقليمية والدولية لازالت قائمة لذلك نتمنى ان تكون العودة الثانية للامريكان الى العراق للخلاص من الفساد وهدر ثروة البلاد واعادة الاعمار والبناء على غرار تجربة كوريا الجنوبية ونتمنى ان يكون تفكير الرئيس ترامب كتفكير سلفه من الرؤساء الامريكان في الحقبه التاريخيه السابقه التي شهدت الحرب الباردة

شهق الناس

زهايمر الوطنية

ياس خضير البياتي
الامارات

قد لا يكون دقيقا القول بأن لكل زمان مدن ورجال، لأن هناك ازمنة تتساقط فيها المدن ويعز الرجال، وحين يقال ان الحنين الى الماضي هو مجرد نوستالجيا ورومانسية منزوعة الفاعلية به قدر كبير من التعميم، فربيع العراق مثلا ليس كخريفه، وتألق بغداد ليس كأنطفائها، وغروب رجالها ليست هي النهايات غير السعيدة. ومادام هناك ازمنة نهوض، وازمنة انحطاط، فأن الحنين الى مرحلة ما من تاريخ العراق ليس بكاء على الاطلال، انما هو تذكير بمنجزات تم فقدانها كتاريخ مزدهر، وحضور بهي، وجمالية إنسانية ومكانية لا تتكرر بسهولة في زمن قتل الجمال.

ومن يتذكرون العراق عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي يدركون كم خسر من التألق والابداع والقيم الاجتماعية والجمالية في هذه الايام.

يالها من مفارقة ان نقارن بين الماضي والحاضر بطريقة مفجعة ومأساوية، لأن منطق التاريخ والاوطان تتحدث بلغة الصعود بما أنجزته من تنمية وسعادة لشعوبها، الا العراق فهو يفتخر اليوم بلغة النزول، فما عاد الشعب يعيش الحاضر، الا بحنين الماضي ومنجزاته ورجاله، لأن الرافدين لم يعد وطنا للجميع، وروافده جرفته آلات التخلف والهمجية، وبات اليوم وطنا للمزابل والمستنقعات والمقابر، ومختبرات لتلويث الانسان والحياة، وتهديم التعليم بفأس الجهل!

اليس مخجلا ان عراق الامس افتتح اول كلية في الشرق الأوسط عام 1908 واسس اول ثانوية نموذجية في قارة اسيا، وأقدم جامعة في الوطن العربي هي جامعة بغداد، وقدم أفضل نموذج لكلية متميزة في تعليمها وبرامجها الدراسية وطرق تدريسها هي كلية بغداد، وأول كلية طب في الشرق الأوسط عام 1927 ثم كلية طب الاسنان عام 1953 بينما عراق اليوم خارج التصنيف العالمي، حيث لا وجود له ضمن ما يقارب 160 دولة. وطلبته اليوم يعومون مع رحلاتهم فوق بحيرات من المياه، وعلماء الجامعات تستنزف طاقاتهم الإيجابية بتعاويذ الماضي، وادلجة الدين المحنط بالغيبيات، وآخرون تستهلكهم الأمم فرادا، وتسلب جنسياتهم العراقية باسم اللجوء والإنسانية.

اليس مخجلا ان العراق كان من ضمن البلدان المؤسسة للأمم المتحدة أيام الباشا نوري السعيد في الخمسينات، والجواز العراقي اليوم هو الأسوأ عربيا وعالميا بلا منافس، وخارجية البلد ماتزال تعيش عصر (القماقم) و(كونفوشيوسية) اليونان والرومان، والوطن غائب عن الأمم، وسفاراته تحكمها العوائل والأحزاب وقبائل الفساد والمحسوبية.

اليس معيبا ان تكون ايسلندا البلد الصغير، على سبيل المثال والحصر، عبارة عن جزيرة في المحيط الأطلنطي مساحتها أقل من نصف مساحة بغداد وتعداد السكان 340 ألف نسمة، وهي أقل من تعداد أي حي عراقي، يكون ترتيبها 14 في الدول الأكثر تقدما، والمرتبة الرابعة عالميا في مستوى إنتاجية الفرد، بسبب جودة التعليم والصحة والعدالة والحرية والاستقرار. بينما بلد الرافدين يشكو الماء والعطش، ويمحى من خارطة الأمم الصاعدة.

لا تقل لي بأن تخلف العراق سببه تنوع العقائد والطوائف والأديان، فهذا ضد المنطق والتاريخ ،لأن قصة سنغافورة الجزيرة الصغيرة تنسف هذا المبرر، فهذه الدولة تتكون من مئات الأديان والأعراق واللغات ومساحتها 140 كيلو متر مربع، استطاعت أن تبني دولة اقتصاد واستقرار بجدارة، مثلما غرست ثقافة التعايش والتآلف في أنظمتها الاجتماعية والتربوية ،وهي الآن رابع أهم مركز مالي في العالم، وخامس أغنى دول العالم من حيث احتياطات العملة الصعبة، ما يجعلها مشتلا لرؤوس الأموال والاستثمارات والمراكز التجارية الكبرى في العالم.

أنظروا الى البرازيل بلاد السامبا والجمال والطبيعة، والمرح والكرة، والقهوة والكاكاو، ذات الـ 300مليون نسمة، هناك تنصهر كل أعراق حضارات العالم، الأوروبية والأسيوية والإفريقية والعربية في بلد واحد، استطاعت خلال عقدين من الزمن فقط، الانتقال من دولة ترزح تحت وطأة التضخُّم والفقر والدين، إلى دولة ذات اقتصاد متطوِّر وصاعد، بحيث أضحت خامس اقتصاد في العالم.

أما الهند فهي من أكثر الدول تجسيداً للتعددية بأشكالها المختلفة العرقية واللغوية والدينية والثقافية، ومع ذلك تعد اليوم ثاني أسرع اقتصاد بعد الصين، وخامس أكبر اقتصاد في العالم في 2018.

من يقرأ تاريخ كوريا الجنوبية يرى أنها كانت واحدة من أفقر دول العالم، وأكثرها دمارا اقتصاديا وفوضى سياسية من جراء الحروب، اما اليوم فأنها من أكثر الدول نموا اقتصاديا وديمقراطية. بينما الصين لها قصة اخرى، فقد قهرت هذه الدولة العظيمة التخلف والفقر والامية ونقص التنمية بعقول جبارة، لتعتبر اليوم عملاقا اقتصاديا وسكانيا وسياسيا وتجاريا، لتحتل الدرجات الأولى على مستوى العالم، بل أعطت درسا بليغا للعالم وهو أن عدد السكان ليس عائقا أمام التقدم والنمو وأن الثروة البشرية هي أغلى ما تمتلكه الشعوب.

من قال ان الأوطان تقاس بالأميال المربعة او حتى المسدسة، فقد يكون الوطن مترا او بمساحة قارة، لكنه الكبسولة التي تحتشد فيها العقول الجبارة، وتتوطن فيها التكنولوجيا والاختراعات.

ومن قال ان الأوطان السعيدة تجدها في بلاد النفط والغاز والكبريت، فقد تجدها في بلاد الابقار الذكية والزهور الجميلة، والاجبان المبتكرة، فهل هناك اسعد معيشة من الشعب السويسري والهولندي والدنماركي على الارض، وهل هناك أتعس معيشة من شعب العراق الذي يغرق بالنفط والثروات والانهر، ولايجد من يسد رمقه، ويضئ بيته بالضوء، ويوفر له الماء النقي، حتى وصلنا الى مرحلة الأيمان القسري بأن الوطن بحاجة الى بقرة سويسرية تحكمنا وليس الى بقرة بشرية عراقية!

بالعربي الفصيح، الوطن هو قشعريرة تسري في الجسد الى الروح، هو اليوم منكوب بوباء زهايمر الوطنية، ونقص فيتامين الغيرة العراقية! واي غيرة عراقية نتحدث عنها اليوم، ولصوص العملية السياسية قتلوا جمال العراق وهيبته، وجعلوه في آخر الأوطان!

ابحثوا عن سر اغتيال الوطن، ستجدونه في عقل حمار يصر ان يسألك دائما ما هو مذهبك وقوميتك، ليغتالك بعفونة الماضي!